# العمارة الإسلامية وترسيخ الثقافة الإسلامية في سلطنة دهلي (٦٠٢-٩٣٢هـ/١٢٠٥-١٥٢٦م)[١]

د. صاحب عالم الأعظمى الندوي[*]

## (١) تمهيد

لم يكن انتشار الحركة الفنية الإسلامية وازدهارها بما في ذلك العمارة مقصورًا على قطر إسلامي معين، بل شمل البلاد الإسلامية جلها، ولم يكن باستطاعة المسلمين أن يقوموا بذلك إلا بوجود الفكر الإسلامي الراسخ في العمارة الإسلامية، ويتبلور هذا الفكر الإسلامي العمراني في كتب التراث الإسلامي والتي لا تتحدث عن تاريخ المدن والعمارات الإسلامية وخططها فحسب؛ بل هي أيضًا توضح الأسس والنظريات الإسلامية التي يجب على الحاكم المسلم اتباعها فيما يختص بسياسة العمران .

أن الإدارة الإسلامية بجانب إقامة الأحياء والمحلات وتشييد المدن ، قامت بإنشاء الأسواق والمرافق العامة كالحمامات والمساجد الجامعة وتوفير مصادر مياه الشرب وما يرتبط بذلك من عوامل مساعدة على ازدهار حياة الدولة الإسلامية وأمنها كالحصن والأسوار ووفرة مصادر الغذاء وغيرها من الأساسيات[٢] .

وما قامت به الإدارة الإسلامية منذ دخولهم الهند بإقامة المنشآت الدينية والمدنية ساعدتهم على الاستقرار والانسجام والاندماج في البيئة التي كانت جديدة عليهم ، وكما أن المسلمين بعد دخولهم لهند أول عمارة قاموا بإنشائها هي "المساجد" في المدن، ثم قامت الإدارة الإسلامية بتعيين الأئمة والقضاة والدعاة لها بهدف

---

(*) باحث دكتوراه بدار العلوم – جامعة القاهرة .

التعريف بالإسلام وعلومه ونشره بين الناس، يشرفون على أداء الفرائض الدينية في تلك المساجد، ويقومون بالتدريس لأولاد المسلمين ونشر العلوم الإسلامية بين أهالي بلاد السند.[٣]

ويؤكد على ذلك الرحالة المغربي ابن بطوطة ، وكتب في مذكراته فيقول:"لقد لقيت بهذه المدينة خطيبها المعروف بالشيباني، وقد أراني كتاب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز لجده الأعلى بخطابة هذه المدينة، وهم يتوارثونها من ذلك العهد إلى الآن، وتاريخه سنة تسع وتسعين وعليه مكتوب بخط أمير المؤمنين".[٤] ووفقًا لما جاء في روايات الجغرافيين والرحالة، فإن المناطق الرئيسية في السند والتي كثرت بها سكني العرب كانت في "المنصورة"، و"الملتان" و"ديبُول" و"نيرون" و"ارور"[٥] ، وكذلك قام المسلمون بإنشاء المساجد في قنوج الهندوسية التي لم تكن تابعة للدولة العربية إبان تلك الفترة، وآثار هذه المنشآت الدينية كانت باقية إلى عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م حسب قول الرحالة المسلم[٦] ، وتفيد المصادر أنه في العصر العباسي الأول أقام الولاة العباسيون داخل المدن الكبيرة واستوطنوا القصور الفخمة[٧]، وفي إطار الفكر الإسلامي بنى العرب مدنًا جديدة في السند مثل مدينة المحفوظة عام ١١٢هـ/٧٣٠م، ومدينة "المنصورة" عام ١٢١هـ/٧٣٨م، ومدينة "البيضاء" عام ٢٢٥هـ/٨٣٩م، ومدينة "جُندور" في عام ٣٤٠هـ/٩٥٠م، وكلمة جُندور مشتقة من كلمة "جند" العربية، و"ور" الهندية بمعنى مكان، فكانت هذه المنطقة تستخدم في بداية الأمر كمعسكر أو الثكنات للجيش الإسلامي إلى أن تحول إلى المدينة المزدهرة،[٨] ولعبت هذه المدن لفترة طويلة دورًا محوريًا في التجارة العالمية آنذاك.[٩]

وتجدر الإشارة إلى أن المسلمين العرب قاموا بتطوير المدن القديمة والحفاظ عليها بجانب إنشاء المدن الجديدة، فمثلًا كانت ميناه ديبل تعتبر أكبر مدينة هندوسية قبل الفتوحات الإسلامية بسبب دورها المحوري في التجارة والاقتصاد، ولكن هذه المدينة لم تصل إلى رقيها الحضاري إلا في عصر الدولة العربية، وتفيد المصادر إنه قد دمرتها زلازل عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م تدميرًا كاملاً ، إلا أن هذه المدينة أصبحت بعد فترة قصيرة من أعظم المناطق الاقتصادية والتجارية والزراعية بسبب ما بذلت

الإدارة الإسلامية من جهدٍ كبيرٍ لإعمارها[١٠]، ويدون الرحالة مذكراته حول هذه المدينة فيقول تقع مدينة ديبل على شاطئ البحر، وكان عدد القرى والضياع الملحق بها مائة قرية كلها زروع وأشجار وعمائر متصلة.[١١]

أما المنصورة التي لعبت إبان تلك الفترة دور العاصمة فبلغ عدد قراها ثلاثمائة ألف[١٢]، وذلك بسبب وقوعها في حضن نهر السند وخصوبة أراضيه واهتمام العرب بأساليب ريها، لقد أحاط بها فرع من فروع نهر السند فجعلها جزيرة خضراء تتخللها ترع وقنوات لتحسين نظام الري.[١٣] وتفيد المصادر المعاصرة أن الدولة العربية قامت بإنشاء السدود وشق القنوات كما صنعت خزانات المياه، ونظمت عملية الري، وقامت بإنشاء الجسور في مناطق مختلفة في بلاد السند، وبذلت أقصى جهدها لتحسين الزراعة، فهناك العديد من الجسور والقناطر أقامها العرب على الأنهار لأغراض عسكرية وتجارية، لتيسير نقل البضائع بين البلاد المختلفة، وكان أول جسر بناه محمد بن قاسم وعبرت من خلاله قواته من غرب إلى شرق نهر السند قبل لقائه بجنود الملك الهندوسي راجا داهر.[١٤]

هذا وقد استمرت مدينة المنصورة عاصمة على امتداد فترة الحكم العربي ، ولاشك أنه قد جاء بناء هذه المدينة في إطار الفكر الإسلامي لنجاح الحركة الإسلامية، ما أدت إلى تحقيق الأهداف الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، لأن بلاد السند كانت المعبر الأول التي انتقلت من خلالها ثمرات الثقافة الإسلامية إلى المناطق الهندية الأخرى، ذلك بعد قيام الدولة العربية واستقرارها في هذه المنطقة، ولعبت الدولة العربية دورًا محوريًا في انتقال الثقافة الهندية من العلوم والفنون التي طورها المسلمون ونشروها بدورهم إلى البلدان الشرقية والغربية والتي استفادت من هذه العلوم وسعدت بنعيم الحضارة الإسلامية.[١٥]

## (٢) تعريف موجز لسلطنة دهلي

تمتد فترة البحث من الأسرة المملوكية إلى الأسرة التغلقية، حيث هناك أربع أسر(أسرة مملوكية، أسرة غياثية، أسرة خلجية، أسرة تغلقية) يطلق عليها سلطنة دهلي، والتي حكمت معظم شبه القارة الهندية خلال عام ٦٠٢-٩٣٢هـ/١٢٠٥-

١٥٢٦م، وهي تعتبر أول أسرة حاكمة ذات ثقافة فارسية حكمت الهند مستقلة دون تبعية للخلافة العباسية، واستقر خلالها الحكم الإسلامي بصورة فعالة وعميقة، أسسها السلطان محمد الغوري (ت٦٠٢هـ/١٢٠٥م)، الذي ولى غلامه قطب الدين أيبك كنائب له، ولكن بعد وفاة السلطان محمد الغوري استقل قطب الدين وأعلن قيام دولة المماليك في عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، والتي استمرت في الحكم من بين ٦٠٣-٦٨٨هـ/١٢٠٦-١٢٩٠م.

ويعتبر خلفه السلطان شمس الدين ايلتتمش(٦٠٧-٦٣٣هـ/١٢١٠-١٢٣٦م)، أعظم سلاطين هذه الدولة، حيث بذل حياته في توحيد الهند، وقام بتحسين الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، مما جعل مدينة دهلي مركزًا مهمًا للثقافة الإسلامية، وقد أعقبت وفاة السلطان شمس الدين ايلتتمش تولية عدة سلاطين أثبتوا أنهم غير جديرين بالحكم، حيث اشتغل بعضهم باللهو والمرح والبعض الآخر بالزهد والتقشف تاركين بذلك الفرصة لبعض أمراء المماليك الانفراد بشئون الحكم.

وكاد أن ينهدم ذلك الصرح العظيم الذي شيده السلطان ايلتتمش، إلى أن جلس السلطان غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٤هـ/١٢٦٦-١٢٨٧م) على عرش سلطنة دهلي، وحكم عشرين عامًا، وكان من اختيار السلطان، حيث نجح في الجبهات العديدة لاستقرار الهند سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، ومن أهم إنجازاته أنه تمكن من القضاء على الفتن الداخلية وتقوية الجبهة السياسية الداخلية مما جعله أن يقف في وجه الغارات المغولية بكل صمود، وبالإضافة إلى ذلك بذل المجهودات المضنية في تحسين الإدارة العامة وركز خصوصًا على نشر العدل والإنصاف للرعية، ولتحقيق هذه البغية بنى دارًا وسماها "دار الأمن"، وبذلك أصبح قدوة لملوك وسلاطين الهند فيما بعد، وعلى الرغم من أن سلالته لم تدم طويلًا بعد فإن السلطنة نفسها كانت وطيدة الجذور عند موته.

وخلفت أسرته، غير القادرة على الحفاظ على الدولة الغياثية، سلالة خلجية ٦٨٩-٧٢٠هـ/١٢٩٠-١٣٢١م) ذات الجذور الأفغانية، وقد حول السلطان علاء الخلجي هذه الأسرة الحاكمة إلى إمبراطورية عظيمة؛ ومن أهم إنجازاته ضم المناطق

الجنوبية إلى سلطنة دهلي، كما قام بتغييرات جذرية في الشئون الإدارية والمالية بما فيها التحكم في الأسعار ووضع القواعد والقوانين المالية الخاصة لضبط الأسعار ولمنع الاحتكار، بالإضافة إلى ذلك قضى على العناصر الإجرامية، وكافح أنواع المفاسد والمنكرات بما فيها منع الناس عن شرب الخمر من خلال سن القوانين الصارمة، وقد ترعرعت الثقافة الإسلامية واللغة الفارسية في أنحاء سلطنة دهلي في عهده، ولم يتمكن من جاء بعده من أسرة خلجية أن يحافظ على كيانه، فقضي على الدولة التغلقية، ذات الجذور التركية الهندية، في عام ٧٢٠هـ/١٣٢١م واستمرت إلى عام ٨١٥هـ/١٤١٣م، حكم خلال هذه الفترة عدد من السلاطين، أشهرهم محمد بن تغلق (٧٢٣-٧٥٢هـ/١٣٢٤-١٣٥١م) وابن عمه فيروز شاه تغلق ٧٥٢-٧٩٠هـ/١٣٥١-١٣٨٨م. وقد بلغت الهند في عهدهما خصوصًا في عهد الأخير ذروتها في تحسين الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، فقد ازدهرت الزراعة والصناعة والحرف والتجارة الداخلية والخارجية أيما ازدهار.

وقد اعترف المؤرخون الهندوس وغيرهم بأن الفتوحات الإسلامية والاستقرار السياسي للمسلمين في الهند جعلهم جزءًا لا يتجزأ من أرض الهند، ولا ريب أنهم اتخذوها وطنًا وسكنًا ومعاشًا ومدفنًا، ووهبوا لهذا البلد أفضل ما عندهم من عقيدة ورسالة وأخلاق وسجايا ومقدرة وكفاية وتنظيم وإدارة، فنقلوها من طور البداوة إلى طور الحضارة.

هذا وقد اخترت في هذا البحث سلطانًا عظيمًا من كل هذه الأسرة المالكة لتمثيل دولته حول ما قاموا بإنشاء العمارة الإسلامية، مع الإشارة إلى علاقاتهم مع المنشآت الدينية خصوصًا زوايا الشيوخ والمدارس الإسلامية، ومن الصعب أن يتسع مثل هذا البحث لأعمالهم العمرانية جميعًا، وأرجو أن يغنينا ذكر بعض إسهاماتهم العمرانية عن ذكر إسهامات كثيرة مشابهة نظرائهم.[١٦]

## (٣) دور المنشآت المدنية في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية

يجدر بي أن أذكر بإيجاز دور السلاطين في إنشاء المنشآت المدنية مع التركيز على وجود واعتبار الفكر الإسلامي في عملية العمران، وتفيد المصادر

المعاصرة حول تخطيط المدن الإسلامية إبان تلك الفترة أن بعضها بدأت على هيئة قلاع ومعسكرات حربية، ثم تطور إلى هيئة مدنية، أو كوشك شكار أي قصر الصيد فتحول إلى المدينة، وهناك أمثلة عديدة، ومنها ما قام به السلطان غياث الدين بلبن لما أقام قصر الصيد خارج عاصمة دهلي[١٧]، ومنها ما قام به السلطان فيروز شاه لما وضع أساس قلعة فيروز آباد على نهر جمنا، وتعد هذه القلعة من أعظم الأبنية التي تم تشييدها في عصر السلطان فيروز شاه تغلق.[١٨] ومنها ما كان في بدايته مناطق ارتكاز تحصينية للدفاع، وبمرور الزمن غلب عليها الطابع المدني وتحولت إلى مدن، وذلك في إطار الفكر الإسلامي ألا وهو الأمن والأمان الذي يمثل قيمة أساسية لنشأة المجتمع الحضري المستقر التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض، ومن هنا أمر السلطان قطع جميع الغابات وأطاح برقاب كثير من المفسدين، وأمر بتشييد عدة حصون حول المدينة والمساجد العالية، وهكذا قضى على هذه الفتن والقلاقل الأمنية.[١٩]

وما سبق يؤكد على أن دهلي نشأت وتطورت مع المراحل العديدة وضمت إليها مدنًا عديدة[٢٠]، ومهما يكن من الأمر إلا أنه بصفة عامة كان يتم إنشاء هذه المدن والمنشآت الدينية والمدنية من خلال مراعاة التخطيط الإسلامي، فكانت الرؤية الإسلامية في تخطيط المدن مراعية لجوانب التخطيط المختلفة ، وهذا ما نجده في تخطيط مدينة "ديوگير" التي بناها السلطان محمد بن تغلق في عام ٧٢٥هـ/١٣٢٦م، يفيد المصدر المعاصر حول تخطيط هذه المدينة التي صارت بعد بنائها عاصمة ثانية لسلطنة دهلي، فيروي المؤرخ فيقول: "قال الشيخ مبارك: وأما مدينة قبة الإسلام فتكون عاصمة ثانية، وفارقتها وما تكاملت، ولي الآن عنها ست سنين، وما أظنها تكون قد اكتملت، لعظم ما حصل الشروع فيه من اتساع خطة المدينة، وعظم البناء، وإن هذا السلطان كان قد قسمها على أن تبني محلات، لأهل كل طائفة محلة، غير مفتقرة في شيء إلى سواها.."

وتجدر الإشارة هنا إلى قضية نقل العاصمة من دهلي إلى دولت آباد التابعة لديوگير، فهناك رواية تقول إنه كان يريد السلطان أن تكون عاصمة الهند في وسط

أراضيها وديوگير تتوسط المدن المركـزية بجانب دهلي[٢١]، أما ابن بطوطة فيـتهم السلطان أنه قام بذلك لكي ينتقم من العلماء والشيوخ وبالتالي نفيهم إلى دولت آبـاد، ، وما ذكره ابن بطوطة حول ذلك يعارض مآثر السلطان الدينية والـسياسية برمتهـا، وبذلك نستطيع أن نقول أن اتهام المؤرخين المعاصرين واللاحقين بنقل العاصمة إلـى دولت آباد في جنوب الهند مردود[٢٢]، إنما الحقيقة تكمن في أنه كان سـعيًا مـشكورًا لترويج وترسيخ الحضارة الإسلامية وازدهارها بصورة منظمة ومدروسـة، وتؤكـد المصادر على أنه لم ينقل الإدارة المركزية من دهلي إلى دولت آباد[٢٣]، بـل أرسـل الجاليات الإسلامية من العلماء والفقهاء والشيوخ فقط[٢٤]، تفيد بعض المصادر أنه لما وصل العالم مولانا فخر الدين زرادي(ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) إلى ديـوگير[٢٥]، غلـب عليه شوق زيارة الحرمين الشريفين، فاستشار القاضي كمال الدين صدر جهان حـول ذلك فقال له:"لا يجوز أن تسافر دون أن تأخذ الإذن من السلطان، لأنه يريد عمـران هذه المنطقة وازدهارها بصبغة إسلامية، وهو يرجو أن تكون مدينة علميـة زاخـرة بالعلماء والفضلاء ويذيع صيتها في جميع أنحاء العالم"[٢٦]، ولإعطاء الطابع الإسلامي أمر السلطان بصك العملات ذات الشعائر الإسلامية، مثل "قبة دين إسـلام"، و"بـدر الإسلام"، و"دار الإسلام"، وكان الهدف وراء ذلك إرسال رسالته إلى عامة الناس.[٢٧]

ولولا إنشاء مدينة تغلق آباد هذه في هذه المنطقة لما قامت الدولـة البهمنيـة التي حكمت في جنوب الهند أكثر من مائة وخمسين عامًا ثم تفرعت منها الإمـارات الإسلامية العديدة، التي تم انضمامها إلى الدولة المغولية.[٢٨]

ويعترف المؤرخ المعاصر بكثرة وازدياد عدد سكان المـسلمين فـي هـذه المدينة، فيقول:"كانت هناك مقابر هندوسية كثيرة جدًا، ولكن الآن هناك مدافن مسلمين أيضًا"[٢٩]، ولا شك أن في مرحلة لاحقة ظهرت مدينة أورنگ آبـاد المعروفـة الآن حول مدافن الأئمة والعلماء فكانت هذه المدافن نواة هذه المدينة[٣٠].

وبجانب تعمير المدن والقلاع والحصون، اهتم سلاطين دهلي بصورة عامـة بتشييد المرافق العامة [٣١]، وتغذية المدن بالماء من خلال إنشاء الأحـواض والآبـار والبرك، كما أسهموا في إنشاء البساتين في داخل المدن والقرى.[٣٢]

تشير بعض المصادر إلى عهد السلطان فيروز شاه الذي يعد من أكثر السلاطين اهتمامًا بالمشاريع العمرانية[٣٣] ، لتوفير العمل للعاطلين[٣٤]، وأقام ديوانًا عرف بديوان استحقاق لإمداد الفقراء والمساكين[٣٥]، وأقام ديوانًا عرف بديوان الخيرات ليعين على تزويج الفتيات الفقيرات[٣٦]، كما كان لفيروز شاه شغف بإقامة المصانع بهدف تنمية دولته والقضاء على البطالة، وقد اختلف المؤرخون في أعداد مشاريعه العمرانية إلا أنهم اتفقوا على كثرتها.[٣٧]

هذا، وفي نهاية المطاف يجدر بي أن أذكر أن إسهامات الفكر الإسلامي في إنشاء المدن والمرافق المدنية لم تقتصر على إعطاء الفوائد للمسلمين، بل من المعلوم تاريخيًا أن هذه الحركة العمرانية التي بدأت بعد إقامة سلطنة دهلي أثرت تأثيرًا بالغًا في المجتمع الهندوسي، وذلك من خلال الحياة الاجتماعية الإسلامية التي أبطلت سائر الامتيازات الاجتماعية التي نشأت على أساسها المدن القديمة والمنشآت المدنية، فقد فتحت أبواب المدينة ومنشآتها العمرانية لكافة الناس دون أدنى تمييز، لأن المجتمع الجديد قام بالقيم الإسلامية والفكر الإسلامي ألا وهي المساواة بين سائر الناس في الحقوق والواجبات، وكانت التقوى مقياس الفضيلة، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } الحجرات١٣ فكانت هناك طبقات عديدة ما كان يسمح لها أن تقيم في المدينة، وكان عليهم أن يشيدوا لهم المنازل والمساكن خارج المدينة.[٣٨] ومن هنا لما سمحت لهم سلطنة دهلي تغير النظام الاجتماعي الطبقي، وهو الأمر الذي أدى إلى تشييد بيوت الهندوس والمسلمين بجميع الطبقات مع بعضها بعضًا[٣٩]، ومن هنا قد أثر العمران الإسلامي في هيكلة المجتمع الهندي، يقول رئيس وزراء الهند الأسبق جواهر لال نهرو في كتابه "اكتشاف الهند":"إن دخول الغزاة الذين جاءوا من شمال غرب الهند ودخول الهند إلى حوزة الإسلام له أهمية قصوى في تاريخ الهند، فإن الفكر الإسلامي قد أظهر الفساد الذي تفشى في المجتمع الهندوسي، وكذلك أظهر نظام الطبقات الجائر وظاهرة المنبوذين، وحب الاعتزال عن العالم الذي كانت تعيش فيه الهند، إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التي كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها، أثرت في

أذهان الهندوس تأثيرًا عميقًا، وكان أكثر خضوعًا لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية".(٤٠)

## (٤) دور المنشآت الدينية في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية

**المساجد:** يعتبر المسجد "قوة الإسلام أو المسجد الجامع" أول منشآت دينية قامت بها سلطنة دهلي والمسجد الجامع الذي يطلق عليه "قبة الإسلام"، وقوة الإسلام ومسجد الجمعة.(٤١)

وقد تمت إقامة هذا المسجد للجامع على منهج الفكر الإسلامي ألا وهو أول ما يختط، ومن حوله تم تخطيط خطط المدينة فيما بعد، حيث تفيد المصادر أن مسجد الرسول كان أول شيء تم تخطيطه في وسط المدينة ومن حوله اختطت خطط المهاجرين التي كانت في معظمها قطائع وخططًا تنازل عنها الأنصار للمهاجرين من كل زيادة كانت في خططهم أو كانت في فضاء من الأرض ليست لأحد فأقطعها الرسول صلى الله عليه وسلم.(٤٢)

وحول بناء مسجد "قوة الإسلام" يقول بعض الباحثين أنه تم تشييده في عام ٥٨٧هـ/١١٩٥م بتكلفة تعادل ٥٤ مليون روبية، ولما كان معمار هذا المسجد والمنشآت الأخرى الهندوسية امتزج طرازهم الهندوسي والبوذي والجيني عند إنشاء هذا المسجد، وظهرت التأثيرات المعمارية الهندوسية في العمارات الإسلامية الأولية، وبجانب هذا المسجد تم تشييد منارة طويلة سميت بـ قطب مينار أي منارة القطب والتي شرع قطب الدين في بنائها عام ٥٩٦هـ/١١٩٩م، وكان الهدف وراء إنشاء هذه المنارة هو إظهار عظمة الإسلام بجانب أن تكون مئذنة للمسجد الجامع وكذلك كان تخليد ذكرى للفتوحات التي قام بها السلطان أيبك(٤٣)، وعندما أدرك السلطان ايلتتمش خليفة أيبك تغلغل تأثير الطراز الهندوسي في هذا المسجد قام بإصلاحه وتكميل مشروعه، خصوصًا وأنه بدأ يضيق على المصلين، فأمر السلطان بتوسيع المسجد خصوصًا من الجانبين الشمالي والجنوبي، مع إضافة جدار من أحجار الجرانيت غرب المسجد، وكذلك حفروا على المحاريب الخمسة آيات قرآنية وأحاديث نبوية.(٤٤) وبجانب مسجد الجامع أقام السلطان أيبك "مسجد أرهاي دن كا جهونپرا" أي

كوخ اليومين والنصف، بمدينة أجمير عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م، والمسجد كله مزخرف بنقوش وكتابات عربية بخطوط الكوفي والطغراء، يعتبره بعض الباحثين عديم النظير.(٤٥)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاستعمار الإنجليزي بعد احتلال الهند حاول ترويج الإشاعات والافتراءات حول قيام الدول الإسلامية بتحويل المعابد الهندوسية والبوذية والجينية إلى مساجد خصوصًا في عصر سلطنة دهلي، واستخدم الاستعمار لتحقيق هذه الأهداف المستشرقين الذين روجوا مثل هذه الأكاذيب في أعمالهم المنشورة، ولكن لم يفلحوا في ذلك لأن الطبقة المثقفة انتبهت لمكرهم؛ وذلك لأن المعابد الهندوسية وغيرها لم يكن من الممكن تحويلها إلى المساجد بسبب بنيتها الخاصة، أما المسجد فعملية بنائه يحتاج إلى الحجرة الواسعة ذات القبلة، ثم يضم إليها ساحة واسعة لصفوف المصلين، ولما فشل المستشرقون في هذه الفرية، اتهموا الإدارة الإسلامية بهدم المعابد الهندوسية والبوذية والجينية واستخدام أحجارها وأعمدتها في إنشاء المساجد وقد أصاب بعض الباحثين بما عارضوا هذه الفكرة وأكدوا على عدم قيام الإدارة الإسلامية بهدم المنشآت الدينية الهندوسية، وإن هدم بعضها تحت دافع سياسي أو فكري، فقامت الإدارة بإعادة بنائها لإرضاء غير المسلمين.(٤٦)

وقد ذكر بعض الباحثين من المستشرقين مثل *JAMES FERGUSSON*(٤٧) والسير السيد الهندي، أن السلطان أيبك استخدم في بناء مسجد الجامع أعمدة وأحجار ٢٧ معبدٍ هندوسيٍ، كما استخدم في بناء مسجد كوخ اليومين والنصف أعمدة ودعائم من معابد هندوسية جينية.(٤٨) وتقتضي هذه المسألة وقفة جادة للمناقشة الموضوعية. وهناك أسئلة عديدة تطرح نفسها، مثلًا كيف كان لسلطان مسلم غيور أن يستخدم أعمدة ودعائم المنشآت الهندوسية، والبوذية والجينية في إنشاء المساجد دون معرفة ما توحي به العبارات السنسكريتية الدينية المنقوشة، ثانيًا: تفيد المصادر المعاصرة واللاحقة أن البناة قاموا بنقش الكتابات العربية أي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، على السقوف والأعمدة والدعائم، فكيف كان لهم أن يجلبوها من المنشآت الهندوسية وحتى لو افترضنا أنهم هدموها واستخدموا دعائمها وأعمدتها فكيف كان ممكنا لهم أن يقوموا

بعملية النقش والزخرفة عليها، لأن من المعلوم تاريخيًا أنه لا توجد أحجار وأعمدة مستخدمة في المعابد الهندوسية إلا وهي تحمل النقوش الكتابية الدينية الهندوسية وصور الآلهة، وينبغي هنا إبراز ما ذكر المؤرخ الهندوسي وأصاب فيما قال:"تختلف النظرة الدعائية للمنشآت باختلاف ظروف العصر، فقد اهتم كل من السلطان أيبك وخليفته ايلتتمش بإقامة المنشآت الدينية باعتبارها رمزًا لقوة الدين والدولة ولنشر الثقافة الإسلامية، وحرصًا على إبراز ذلك من خلال إنشاء منارة قطب بدلالة حرصهما على أن يرى هذه المنشآت الإسلامية من يزورها من الهندوس لتقع في نفوسهم موقعًا يؤكد عظمة الدين والدولة الإسلامية...وأهم ما يميز فن العمارة الإسلامي في الهند هو التأصيل لبناء جسور التواصل والتلاقح الحضاري، ففن العمارة في تاريخ الهند الإسلامي لم يطمس النشاط الحضاري لغير المسلمين، بل استفاد من العمارة الهندية السابقة كما استفاد من البناة الخبرة والمهارة ذات الجذور الهندوسية...وما يقال عن الفتوحات الإسلامية أنها تمت بحد السيف فهو غير صحيح بالمرة على الأقل في الهند، يحمل الطابق الأول من منارة قطب الآية القرآنية "{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }البقرة٢٥٦.(٤٩) وهذا يدل على قيام سلطنة دهلي الإسلامية بتطبيق فكر التسامح الإسلامي في العصر الإسلامي، فكان السلاطين يراعون مشاعر غير المسلمين الدينية ولم يحاولوا جرحها.

وقد تبعه السلطان ايلتتمش في الاهتمام بإنشاء المنشآت الدينية الإسلامية من خلال الفكر الإسلامي، وتعكس هذا الفكر جميع منشآته التي شيدت في عهده(٥٠) ، لتحديد وتعيين المكان المناسب للحوض، وكان السلطان يمر من كل أرض يصل إليها حتى وصل إلى مكان حوض شمس، واختار هذا المكان، وعندما حل الليل رأى السلطان في منامه الرسول صلى الله عليه وسلم، يقف وسط هذه الأرض، ويسأل: ماذا تريد يا شمس الدين؟ فأجاب السلطان قائلًا إنه يريد أن يبني حوضًا، قال صلى الله عليه وسلم، افعل هنا، وضرب صلى الله عليه وسلم في هذه الأرض، فانبجست عين ماء، واستيقظ السلطان من نومه، ومازال في الليل بقية، فجاء إلى الشيخ قطب الدين،

وقص ما رآه في منامه، ويروي الشيخ أن السلطان حمله إلى هذه الأرض فرأيا نور مصباح حيث يتدفق ماء العين، فأمر السلطان في تلك الساعة بحفر الحوض[٥١]، وبعد حفره أمر بوضع ماء زمزم فيه[٥٢]، وقد تحول هذا المكان فيما بعد إلى مركز ديني وروحاني، وتشير المصادر المعاصرة إلى وجود وأهمية هذا الحوض وما يجاوره..." [٥٣]

وبالإضافة إلى ذلك أنشئت للمجموعات المعمارية الدينية الأخرى حول هذا الحوض، ومنها الحجرات الخاصة للعلماء والصوفية، و"مسجد أولياء" الذي اهتم السلاطين في عهودهم به وبزيادته مع جعله باقيًا إلى زمن مديد، وقد زاره الرحالة المغربي ابن بطوطة وذكر عنه في كتابه[٥٤]، وقد ذكر الشيخ نظام الدين أولياء بركات هذا الحوض وعذوبة مائه، وذكر مرة أنه رأى بعضهم في منامه السلطان ايلتتمش ، وسأله عن المغفرة، فأفاده أنه قد غُفر له بسبب إنشاء هذا الحوض[٥٥] .

وبجانب إنشاء المساجد في دهلي قام السلطان ببناء المساجد العديدة في المدن والولايات الأخرى، فتفيد النقوش الإسلامية الموجودة في مساجد بنگال[٥٦]، وأجمير[٥٧]، وبلگرام[٥٨] رغبة السلطان الدينية، ويحتوى النقش الموجود على مسجد "بدايون" بجانب الآيات القرآنية ألقاب السلطان ومنه "أعلى الإسلام والمسلمين"[٥٩] .

ومع تطور العمران وإنشاء عدد هائل من المساجد في المدن والقرى تلاشت التأثيرات الهندوسية من العمارات الإسلامية، ولكنها ساعدت على ظهور طراز ثالث من العمارة بين الطراز الهندي القديم والإسلامي أي مزج بين العمارة الهندية والإسلامية وبدأ هذا التطور منذ عصر الخلجيين، وذلك بعدما تمرس البناءون الهندوس على طرز العمارة الإسلامية، فبدأ يظهر الفكر الإسلامي الكامل في محاريب وبوابات وقباب المساجد[٦٠]، وتتمثل مظاهر الفكر الإسلامي في "مسجد جماعت خانه" أي المسجد الجامع أو مسجد الجماعة.[٦١]

وتعكس النقوش الكتابية الموجودة على جدران المساجد وأبوابها الميول الدينية والفكر الإسلامي لسلاطين الأسرة الخلجية، وهناك نقش يحمله الباب العلائي تم إنشاؤه على مسجد قوة الإسلام.[٦٢]

قامت الأسرة التغلقية على أنقاض الأسرة الخلجية، واهتمت اهتمامًا بالغًا بإنشاء المنشآت الدينية ومنها المساجد ، وتفيد المصادر بوجود المساجد الكثيرة والفخمة بجانب المنشآت المدنية الأخرى من القصور والقلاع والمدن والأسواق والسرايات وغيرها(٦٣)، ومن أشهر المساجد التي أسست في عهد فيروز شاه تغلق بدلهي هو المسجد الجامع الفيروزآبادي(٦٤)، و"مسجد كلان أو كالي مسجد أي المسجد الأسود"، و"المسجد المهرولي"، و"المسجد البيگم پوري، و"المسجد الشباكي"، وقامت معظم هذه المساجد ضمن المدن والقصور والقلاع والأسواق والمدارس(٦٥) .

هذا، وتمدنا المصادر المعاصرة اللاحقة بالمعلومات الزاخرة لرصد النتائج المتمخضة عن إنشاء المساجد في المدن والقرى والسماح لدخول كافة الناس دون أي امتياز في المجتمع الهندي الذي ما كان من المعروف عن بعض طبقاته بالسماح لها أن تدخل دور العبادات الهندوسية والجينية والبوذية، كما كان ممنوعا منعًا باتًا أن تلمس أو تطلع على الكتب الدينية(٦٦)، ولكن بعد نشر المساجد في جميع أنحاء الهند نظرت هذه الطبقة المنبوذة والأخرى بعيونها نظام المساجد وتأثيرها في المجتمع الإسلامي المجاور لها على الأصعدة كافة، فكان التأثير المباشر للمساجد في العقيدة الوثنية الهندوسية، بحيث تركت وحدانية الإسلام الصارمة أثرها في الهندوسية، وكانت النتائج الإيجابية لإنشاء المساجد أنها أيقظت عقول الهندوس لجميع الطبقات وأرغمتهم على إعادة التفكير في عقائدهم التي طغت عليها الوثنية والخرافات، مما أدى إلى ظهور تيارات إصلاحية متأثرة بالإسلام والدعوة الإسلامية للرجوع إلى أصول كتبهم المقدسة(٦٧).

وقد اعترف المؤرخ الهندي المعروف *K.M. Panikar* سفير الهند في مصر سابقًا، وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الإسلامية في عقلية الشعب الهندوسي وديانته، فيقول:"من الواضح المقرر أن تأثير الإسلام في الديانة الهندوسية كان عميقًا في العهد الإسلامي، إن فكرة عبادة الله في الهندوس مدينة للإسلام، إن قادة الفكر والدين في هذا العصر وإن سموا آلهتهم بأسماء شتى قد دعوا إلى عبادة الله، وصرحوا بأن الإله واحد، وهو يستحق العبادة، ومنه تطلب النجاة، والسعادة، وقد

ظهر هذا التأثير في التيارات الدينية والدعوات التي ظهرت في الهند الإسلامي كطائفة بهكتي ودعوة كبير."[٦٨]

ولم يقتصر تأثير المساجد في الفكر الهندوسي فحسب، بل عداه إلى أن ترك أثرًا عميقًا في العمارات الدينية الهندوسية، يقول المؤرخ والمفكر الهندوسي تارا چند:"لقد عرفت الدولة الإسلامية بعد قيام واستقرار سلطنة دهلي الطراز الإسلامي الهندي الذي برز إلى حيز الوجود بعد إسهامات سلاطين دهلي بإنشاء العمارات الدينية الكثيرة خصوصًا في شمال الهند وجنوبها، وما دامت بعض الإمارات الهندوسية كجيران لولايات سلطنة دهلي بدأت تمارس العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع هذه الولايات الإسلامية، ولما تلاشى الطراز الهندوسي القديم في فن العمارة الهندوسية، فكان أمام هذه الإمارات الهندوسية أن تحيي ذلك الطراز الهندوسي من خلال المنشآت الدينية القديمة الواقعة في راجپوتانه وبنديل كهند، أو تختار الطراز الإسلامي الهندي الذي ظهر إلى حيز الوجود من خلال إسهامات سلاطين دهلي والبناة الهندوس، وقد فضلت هذه الإمارات الهندوسية الاختيار الثاني، وبالتالي نحن نرى ونلمس مظاهر الطراز الإسلامي الهندي في معظم المنشآت الدينية الهندوسية التي أقيمت آنذاك..."[٦٩]

وهناك عدد من الدراسات الميدانية التي تؤكد على تأثير الهندسة الإسلامية في العمارة الهندوسية، خصوصًا في أجمير، والپنجاب، وبنديل كهند.[٧٠]

<u>الروضات أو المزارات أو الأضرحة:</u> كلمة الروضة مشتقة من حديث نبوي شريف، يقول:"إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار[٧١]، وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم المكان الذي سيدفن فيه وسماه روضة وقال:"وضعت منبري على ترعة من ترع الجنة ، وما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة"[٧٢]، وقد انتشر هذا الفكر الإسلامي شرقًا وغربًا بعد الفتوحات الإسلامية واستقرار دعائمها، وقد لقيت الروضات قبولًا عظيمًا عند الأتراك منذ أيام السلاجقة، وهم الذين ابتكروا في الإسلام إنشاء مبنى جنائزي تذكاري كبير فوق القبر يتكون من بهو-أوسع أو أضيق- تقوم عليه قبة فوق القبر، وعن الأتراك أخذ الفرس فكرة

الروضات، ومن ثم انتقلت إلى الهند ضمن ما انتقل إليها من صور الحضارة الإيرانية الإسلامية، ولكن الهنود زادوها وطورها فخامة وضخامة حتى أصبحت عنصرًا جديدًا من عناصر المنشآت الدينية(٧٣).

وقد لعبت هذه الروضات دور المسجد والمأوى للفقراء والمساكين لجميع الأديان، فلكل روضة قبلة ومحراب، بجانب إنشاء المنبر إذا اتسع المكان بحيث تصبح مسجدًا، وقيام الدولة بوقف الأوقاف لرعاية هذه الروضات وتوفير المواد الغذائية للزائرين ومساعدة الفقراء والمساكين، وقد أنشئت أول روضة ولا تزال موجودة في دهلي، تقع على بعد ثمانية كيلومترات جنوب غرب منارة القطب، وهي روضة للسلطان ناصر الدين محمود الغاري(ت٦٦٤هـ١٢٦٦م) الابن الأكبر للسلطان شمس الدين ايلتتمش، والذي وصى بأن يدفن بعد موته في الغار وأرجله مربوطة بالحبل، وهنا لقب بالسلطان الغاري، وبنى قبره في السرداب، والمسجد الذي أسس على ذلك بني بأكمله من الرخام ونقشت على محرابه آيات قرآنية بأسلوب إيراني خالص، ومدخل الروضة محفور عليه آيات قرآنية بالخط النسخ والكوفي(٧٤)، ولما كان السلطان ناصر الدين معروفًا بتدينه وعبادته ورياضته، أصبحت روضته مركز التجمع لكل من المسلمين والهندوس للحصول على البركة(٧٥).

وقد اهتم سلاطين دهلي بتشييد الروضات، حيث تم تشييد روضة السلطان ايلتتمش بعناية ابنته رضية السلطانة(ت٦٣٧هـ١٢٣٩م) في عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م، وزاد بها السلطان فيروز شاه تغلق بعض القبب على روضته، فكانت هناك عادة أن سلاطين دهلي كانوا يقومون بإنشاء الروضات على أسلافهم كما كانوا يقومون بترميمها وإجراء نظام الوقف عليها لرعايتها وللزائرين، ويمدنا ابن بطوطة حول ذلك ما قام السلطان محمد بن تغلق بفتح المطبخ العمومي للزائرين والعاكفين والركع السجود.(٧٦)

ولما كان السلاطين يعتقدون في العلماء والصوفية وكانوا دائمًا يحبون أن يحضروا إلى دروسهم الدينية والروحانية في زواياهم وخوانقهم، بجانب ذلك كانوا يترددون عليهم من حين لآخر للحصول على القوة المعنوية خصوصًا قبل الخروج

إلى ساحة القتال في حياتهم وبعد مماتهم على الروضات[٧٧]، ومن هنا وبسبب هذه العلاقات الدينية والثقافية[٧٨]، كانوا يشيدون الروضات على قبور الشيوخ والصوفية، فمثلا نجد السلطان علاء الدين خلجي أمر ببناء الروضة على قبر الشيخ أبي علي القلندري في مدينة "پاني پت" القريبة من مدينة دهلي، وزادها سلاطين وأمراء فيما بعد[٧٩]، وسار على نفس المنوال السلطان محمد بن تغلق فأمر بإنشاء الروضات على قبور المشايخ ومنهم الشيخ ميرا ملهم في مدينة بدايون[٨٠]، والشيخ نظام الدين أولياء في دهلي، والشيخ ركن الدين ملتاني، والشيخ علاء الدين في أجودهن.[٨١]

أما السلطان فيروز شاه تغلق فسبق خلفه في إنشاء وترميم روضات الشيوخ والصوفية وإجراء نظام الوقف عليها، وذكر المؤرخ المعاصر عددًا هائلاً من الروضات التي أنشئت أو تم ترميمها في عهده.[٨٢]

ويمثل الفكر الإسلامي في إنشاء الروضات إنه بسبب انتشارها وشيوعها واحترامها لدى كل من الهندوس والمسلمين بدأ الاختلاط واندماج عناصر المجتمع الهندي مما أدى إلى التقارب والتفاهم والوحدة الوطنية، بجانب ذلك كانت هي بمثابة الملاجئ التي يأوي إليها العجزة والفقراء والمساكين الذين ليس لهم دخل يعيشون منه.

<u>المنشآت الصوفية</u>[٨٣] : وكانت منشآت التصوف من خوانق وزوايا-يطلق عليها درگاه- أيضًا من نوعيات المنشآت الدينية التي تلازم ظهورها مع ظهور المساجد والروضات، ومن المعلوم تاريخيًا أن طرق التصوف الأساسية المشهورة ظهرت في بغداد وما يجاورها من البلدان الإسلامية، خصوصًا عند إقامة سلطنة دهلي ذاع صيت خوانق وزوايا بغداد في الشرق الإسلامي وغربه، ولكن بسبب القلاقل والفوضى السياسية في الشرق الإسلامي بما فيها بغداد، هاجر كثير من العلماء والشيوخ إلى الهند، خصوصًا في عهد السلطان شمس الدين إيلتتمش[٨٤]، ومن هنا نال التصوف قسطًا كبيرًا من القبول والانتشار والازدهار إلى أن انتشرت الطرق الصوفية العديدة ومن أشهرها الچشتية، والقادرية، والنقشبندية، والسهروردية، وهي تنتمي إلى شخصيات نبغت بعضها في الهند ودفنت في أرضها[٨٥]، وهي الشخصيات التي لعبت أكبر دور في نشر الثقافة الإسلامية ونشر الإسلام، وكان بإمكانهم أن

يستقروا في دهلي تحت رعاية سلاطين دهلي الذين كانوا يشعرون بسعادة بالغة بتقديم أي خدمة لهؤلاء الشيوخ والصوفية، ولكن لم يفكروا في ذلك لأنهم جاءوا إلى الهند حاملين رسالة التبليغ والدعوة الإسلامية لترسيخ دعائم الإسلام بجهادهم وإخلاصهم، لأنهم كانوا من كبار شيوخ الصوفية الذين عرفوا واشتهروا بموقفهم المحافظ المتمسك بدقائق الشريعة ظاهرًا وباطنًا حتى ظهر في أخلاقهم ومعاملاتهم ثم ظهر فيما يجري على ألسنتهم من أسرار الحكمة وعيون المعرفة والطبائع المتقاربة تتجانب، والنوازع المتشابهة تتآلف، وكانوا حريصين في تعبيرهم عن الثمرات المعرفية للالتزام بالكتاب والسنة، اللذين هما أساس الخيرات، وميزان المعارف والأذواق والإلهامات، ومن هنا اختاروا أماكن مختلفة لإنشاء خوانقهم وزواياهم[٨٦].

أما الشيخ خواجة قطب الدين بختيار الكعكي رحمه الله(ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)، وهو صديق عزيز للشيخ معين الدين جشتي، الذي وصل إلى دهلي في عهد السلطان نفسه، فاستقبله السلطان بحفاوة بالغة وعرض عليه مشكورًا أن يسكن في الزاوية القريبة من القصر الملكي، ولكنه رفض وفضل على أن يستقر بين عامة الناس، فقطن في قرية "كيلو كهري" في ضاحية دهلي، وكان السلطان يواظب على زيارته في زاويته مرة في كل أسبوع.[٨٧]

واختار صاحبه وشيخه معين الدين الأجميري الجشتي(ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م) مكانًا هندوسيًا تمامًا ألا وهو أجمير التي كانت عاصمة للإمارة الهندوسية[٨٨]، وذكر له الشيخ الكعكي عن منطقة أجمير قبل أن يقصدها الشيخ معين الدين: "مركز الهندوسية العظيم ولم يكن بها مسلم"، ولكن هذا الوضع قد تغير بعد وصول معين الدين إلى أجمير وإنشاء زاويته واستقراره، وهكذا بدأ هو يبلغ الدعوة الإسلامية إلى أهل الأرض في أجمير، وينير بنور الإيمان والمعرفة والحب القلوب المظلمة وكان الشيخ قطب الدين الكعكي يشحن القلوب إيمانًا ومعرفة في دهلي، ويرشد التائهين إلى سبيل الأمن والعزة، فقد أسلم على يد معين الدين رجال ونساء لا يحصون، وقد تأثر سكان أجمير بل سكان الهند عمومًا بالشيخ وتعاليمه، وأقبلوا إلى زاويته زرافات ووحدانًا، ولعبت زاويته دورًا محوريًا لاعتناق آلاف من الناس الإسلام، فكانوا

يتبركون به وبدعواته لتفريج كروبهم، توفي الشيخ في أجمير، ودفن بها، وأصبحت روضته من أهم أماكن الزيارة التي يقصدها المسلمون والهندوس على السواء للاحتفال بذكرى وفاته، إذ يعتبر هو نقيب الأولياء المسلمين في الهند، وقد أقيم بناء ثابت تعلوه قبة صغيرة فوق قبره في عهد السلاطين الخلجيين(٨٩).

فكانت لهذه الزوايا والخوانق وظيفتان مهمتان من خلالهما نجحت في إنشاء جماعة من الدعاة والمربين الإسلاميين الذين كانوا أساس الصرح الإسلامي في الهند، والذين بفضلهم بقيت كلمة الله تعلو ودعوة الإسلام تأخذ مكانتها اللائقة في الهند، أول هذه الوظيفة هي وظيفة دينية وتعليمية، وثانيهما هي وظيفة اجتماعية:

<u>الوظيفة الدينية والتعليمية:</u> من خلال هذه الوظيفة كانوا يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص واتباع السنة، والتوبة عن المعاصي، وطاعة الله ورسوله ويحذرون من الفحشاء والمنكر، والأخلاق السيئة والظلم والقسوة، ويرغبونهم في التحلي بالأخلاق الحسنة، والتخلي عن الرذائل، وتزكية الأنفس وإصلاحها، ويعلمونهم ذكر الله والنصح لعباده والقناعة والإيثار، علاوة على هذه البيعة التي كانت رمز الصلة العميقة الخاصة بين الشيخ ومريده، ومن هنا أقبل على الزوايا الناس من جميع الطبقات والفئات يتنافسون في حب هؤلاء المشايخ، وأصبحت زواياهم في طول البلاد وعرضها شبكة من المراكز الروحية حتى لم يبق بلد أو قرية ذات شأن إلا فيها مركز روحي أو عدة مراكز".(٩٠)

<u>الوظيفة الاجتماعية:</u> كان لهذه الزوايا والخوانق وظيفة اجتماعية إضافة إلى الوظيفة الدينية والتعليمية فهي وإن قادت الراغبين في التثقف بالدين الذين كانوا في غالبيتهم من الفقراء والمحتاجين وأبناء السبيل حيث قدمت لهم الزاد الفكري بمفهوم العصر الذي نشأت فيه وقدمت لهم إلى جانب ذلك الغداء والكساء والمأوى، إضافة إلى إبعاد شبح العري والجوع عنهم وبذلك ساهمت هذه الخوانق في تخفيف وطأة الجوع عن المحتاجين(٩١) .

وتجدر الإشارة هنا إلى تأثيرات هذه الزوايا في المنشآت الدينية وفي الفكر الهندوسي إبان تلك الفترة، يؤكد بعض الباحثين على أن الإسلام في بداية الأمر بدأ

يؤثر في الديانة الهندوسية تدريجيًا وبطريقة غير مباشرة، ومن خلال الرصد التاريخي نستطيع أن نحدد أن التغييرات التي حدثت في الديانة الهندوسية لم تكن بسبب الدراسات الإسلامية، إنما كانت بسبب الصوفية وإقبال الناس إلى زواياهم وخانقاواتهم لمشاهدة أعمالهم الدينية والروحية والإصلاحية ومن خلال الاستماع إلى كلامهم الديني.(٩٢) وهو الأمر الذي دفع المفكرين الهندوس ورجال الدين إلى إصلاح المجتمع الهندوسي من خلال إنشاء الخانقاوات الهندوسية بجانب الخانقاوات الإسلامية، وظهر كثير من المصلحين في جنوب الهند وشمالها، ويؤكد الباحث نفسه على وجود صلة قوية بين تعاليم الحركة البهكتية وبين الإسلام خصوصًا الصوفية، مع الإشارة إلى تأثير الفكر الإسلامي بوضوح في هذه الحركات الهندوسية الفكرية والإصلاحية، ومن أمثلة ذلك، تزايد الدعوة إلى التوحيد، والعبادة العاطفية، وإخضاع النفس وتعظيم المعلم، والقضاء على نظام الطبقات الجائر، وقلة الاكتراث بالطقوس الدينية، وقد تأثر بها غالبية المصلحين الدينيين في عصر سلطنة دهلي وما بعدها.(٩٣)

وقد يذكر الباحث المنصف في مكان آخر أهم التيارات والحركات الدينية التي تأثرت بالأفكار الإسلامية والتي استنكرت عبادة الأصنام، وأنكرت الكهنة، وطالبت برؤية العروس قبل الزواج، وأنكرت زواج الأطفال، وكان الطلاق حرامًا مغلظًا عندها، وأوصت بتزويج الأرامل من الرجال والنساء، وسنت القوانين بدفن الموتى بدلا من حرقهم، والمحاولة الجادة للقضاء على نظام الطبقات الجائر، والدعوة إلى المساواة والعدالة الاجتماعية.(٩٤)

وانطلاقا مما سبق نستطيع أن نرى تأثيرًا للعقلية الإسلامية وشريعتها وفكرها في أخلاق وأفكار المجتمع الهندوسي وما أخذه من الفكر الإسلامي وطبقه في شريعته وفكره وحركته الإصلاحية، بداية من التوحيد ونزعات الاحترام للمرأة وحقوقها والاعتراف بمبدأ المساواة بين طبقات البشر إلى غير ذلك مما سبق إليه الإسلام وامتازت به شريعته وفكره، ولولا هذه المنشآت الدينية وقيام الصوفية بفتح زواياهم

وخانقاواتهم لجميع الشعب الهندي وإسهاماتهم في نشر الثقافة الإسلامية لما انتشر الإسلام ولا ثقافته وفكره في المجتمع الهندوسي.

المدارس: مع قيام سلطنة دهلي واستقرارها تبنت سلطنة دهلي فكرة إنشاء المدارس وعنيت بإنشائها بكثرة في دهلي وفي المناطق الأخرى التي دخلت في حوزتها وكان الهدف هو إخراج جيل من المدرسين والدارسين لنشر الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية، بجانب ذلك لتغذية الجهاز الإداري للدولة بما يحتاج إليه من موظفين في دواوينها المختلفة، ومن هنا جاء الاهتمام بإنشائها وإجراء الوقف عليها، مما أدى إلى إنشاء المدارس الكثيرة في مدينة دهلي وأطرافها، وقد وصل عدد المدارس في دهلي في عهد السلطان محمد بن تغلق إلى ألف مدرسة على حسب رواية بعض المؤرخين.(٩٥)

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه كان هناك ثلاث طرق إبان تلك الفترة للتعليم والتدريس، أولها:المدارس الخاصة، ثانيها: المدارس العامة التي كانت تشرف عليها الإدارة الحكومية، وثالثها: من خلال الدروس الخصوصية، والذي يطلق عليه "معلم"، مؤدب، أتاليق وغيرها.(٩٦)

وكانت عملية إنشاء المدارس من ضمن الأعمال الخيرية، وبالتالي نجد معظم سلاطين دهلي كانوا يهتمون بإنشائها، وكانت المدرسة تعد من العمارات الخيرية أي يطلق عليه "بقاع خير"، وتفيد الروايات التاريخية فتقول:"در حكومت خود تالابها وچاه ها وپلها بستند وهر طرف ديگر عمارات وبقاع خير نيز بنا نهادند" أي قام بإنشاء البرك والآبار والجسور والعمارات الدينية أي المدارس والخانقاوات.(٩٧) فكان السلطان قطب الدين أيبك عالمًا وفاضلًا وكان يقدر العلم والعلماء، فاهتم بإنشاء المدارس في دهلي وحتى فتح مشروع قيام المدارس في الأماكن التي لم يصل صدى الإسلام إليها قبل ذلك(٩٨)، أما السلطان ايلتتمش فتفيد المصادر أنه قام بإنشاء المدارس العديدة في دهلي ومنها "مدرسة معزية" وكان كل من العلامة مولانا بدر الدين إسحاق خويش، وخواجه فريد الدين كنج شكر يدرسان فيها(٩٩)، أما السلطان غياث الدين بلبن، فكان يصرف أموالا طائلة على أصحاب العلم والفن من بيت المال، وكان

يطلب من الإدارة ألا تبخل في صرف الأموال على العلماء وطلاب العلم[١٠٠]، وفي عهده قام عالم كبير سيدي مولا بإنشاء المدرسة الكبيرة التي كان يدرس فيها العلماء الأجلاء.[١٠١]

وكان عهد السلطان علاء الدين الخلجي زاخرًا بالعلماء والفقهاء المتخصصين في العلوم والفنون المتنوعة، ووصل عددهم طبقًا لبعض المصادر إلى ستة وأربعين عالما[١٠٢]، وهناك ما يدل على اهتمام السلطان الخاص بإنشاء المساجد والمدارس، بجانب ذلك اهتم أيضًا بتعيين الأساتذة المهرة والمتخصصين ولذلك كان الطلاب يأتون إلى دهلي لتحصيل العلوم من كل فج عميق.[١٠٣] وتؤكد الألقاب والنقوش الموجودة على المنشآت الدينية على اهتمام السلطان ورغبته، فمثلا تحمل البوابة العلائية اللوحة تفيد اسم السلطان وألقابه "مؤكد منابر معالم ومساجد وموطد قواعد مدارس ومعابد"، وهو من السلطان الذي يزود ويوفر كل ما تحتاج المنشآت الدينية إليها من القوة والحشمة.[١٠٤] أما السلطان محمد تغلق شاه فكتب عنه كثير من الباحثين أنه دأب على بذل جهود أكبر مما بذله أي حاكم مسلم في اجتذاب العلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي لإدخالهم في خدمة التعليم والتربية".[١٠٥] وكان الهدف الرئيسي وراء اجتذاب العلماء وإدخالهم في سلك التدريس وتربية الأجيال، وقد بدا ذلك واضحًا من خلال العدد الهائل من المدارس والكتاتيب التي تم تأسيسها في العاصمة وفي المدن الأخرى، وتفيد المصادر المعاصرة أنه قام بتعيين ألف فقيه في الكتاتيب لتعليم الأيتام وأولاد الناس القراءة والكتابة، وكانوا يقبضون رواتبهم من بيت المال[١٠٦]، وبجانب الكتاتيب قام بإنشاء المدارس أيضًا فتفيد المصادر أنه لما شيد مدينة خرم آباد في ضاحية دهلي فقام بإنشاء المدرسة والمسجد الجامع.[١٠٧]

أما السلطان فيروز شاه، فبجانب قيامه بترميم المنشآت الدينية ومنها المدارس القديمة، قام بإنشاء المدارس الجديدة في دهلي وفي المدن الأخرى، وعدد هذه المدارس يصل ما بين ثلاثين وخمسين على حسب روايات المصادر. وتعتبر كل من مدرسة بالا بند سيري، ومدرسة فيروز شاهي من أكبر المدارس التي كانت بمثابة الجامعات الحديثة فكانت تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية، وكان يتم تعيين الأساتذة

من الخارج والداخل، بجانب ذلك كانت هذه الجامعات توفر المنح والسكن للطلبة.[١٠٨]

وتفيد المصادر أن هذه المدارس والجامعات كانت مفتوحة لجميع الطبقات من الهندوس والمسلمين دون أي امتياز، حتى قام السلطان فيروز شاه بإلحاق كم هائل من الشباب المملوك للحصول على التربية والتعليم ما يؤكد على التسامح الديني مع غير المسلمين في عملية ترويج التعليم بين الهندوس والمسلمين على السواء، ولولا ذلك ما وجدوا عددًا غفيرًا من الكتاب والمحررين والعاملين في المصالح الحكومية، وبسبب تعليمهم العالي حصلوا على المناصب المرموقة كما أصبح لهم دور ريادي في عملية الاقتصاد.[١٠٩]

وبسبب هذا التسامح الديني سنحت الفرص لغير المسلمين أن يتعلموا اللغة الرسمية مما جعلهم احتلوا الأعمال الديوانية وذلك في عصر كل من سلطنة دهلي والدولة المغولية، يقول بعض الباحثين أنه قد نبغ كثير من المؤلفين والكتاب الهندوس في تلك المرحلة من خلال الأعمال الديوانية في الإنشاء والترسل، خصوصًا في فرقة هندوسية يطلق عليها "كايسته" بالنسبة للفرق الهندوسية الأخرى، ولكنها فاقت فرقة البراهمة في تعليم دقائق اللغة الفارسية وآدابها، خصوصا الذين كانوا يشتغلون في الوظائف المرموقة مثل قسم الرسائل الديوانية، حتى احتلوا مكانًا خاصًا في ديوان الرسائل والمالية، وحصلوا على الألقاب العالية ومنها "منشئ الممالك".[١١٠]

* *

## الهوامش

(١) سلطنة دلهي هي دولة إسلامية حكمت معظم الهند (٦٠٢-٩٣٢هـ/١٢٠٥-١٥٢٦م) أي في العصور الوسطى المتأخرة، حكمها العديد من السلالات التركية والأفغانية بمن فيهم المماليك. أسسها محمد الغوري (ت ٦٠٢هـ/١٢٠٥م) القائد الأفغاني الذي استولى على دلهي سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م وأرسل محمد أحد قواده القديرين قطب الدين أيبك وهو من الرقيق الأتراك في جولة لغزو شمال الهند، وفي سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م أصبح قطب الدين سلطاناً على دلهي وأسس أسرة حاكمة بها وتعرف أسرته بأسرة المماليك وحكمت ما بين ٦٠٣-٦٨٨هـ/١٢٠٦-١٢٩٠م) وخلفت أسرته سلالة الخلجي٦٨٨-هـ/١٢٩٠-١٣٢١م) ثم سلالة طغلق (٧٢٠-٨١٥هـ/١٣٢١-١٤١٣م) ثم قضى تيمورلنگ على تلك الدولة سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م وعين خضر خان نائبا له على تلك السلطنة، فأسس فيها سلالة السيد ما بين سنة ٨١٦-٨٥٤هـ/١٤١٤-١٤٥١م)، ثم أعقبتها سلالة لودهي(٨٥٤-٩٣٢هـ/١٤٥١-١٥٢٦م). وفي سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م انضمت تلك السلطنة بإمبراطورية مغول الهند الفتية تحت قيادة مؤسس الدولة المغولية في شبه القارة الهندية بابر شاه (٨٨٨-٩٣٧هـ /١٤٨٣-١٥٣٠م).

(٢) وهذا يدل على قيام الدولة الإسلامية بإنشاء المساجد منذ بداية الفتوحات الإسلامية، وليس كما تفضل المؤرخ والمفكر الهندوسي تارا چند في كتابه، فيقول:"ما قام السلطان قطب الدين بإنشاء المسجد في كل من أجمير ودهلي في القرن الثاني عشر للميلادي يعتبر نواة منشآت دينية في الهند"، راجع Tara Chand: Influence of Islam on Indian Culture, India, ١٩٢٢. P.٢٤٤

(٣) للتفصيل راجع عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والپنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي، ط: دار الصحوة دون تاريخ، ص١٥٤

(٤) راجع شمس الدين أبي عبد الله الملقب بابن بطوطة:تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، ستة مجلدات، ط:أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، جـ٣، ص٨٠-٨١

(٥) راجع البلاذري، فتوح البلدان، ص٦١٦-٦١٧/ راجع أيضًا، السيد أبو ظفر الندوي: تاريخ سند، ط٢: أكاديمية شبلي النعماني، الهند ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٣٥٩

(٦) راجع شمس الدين أبي عبد الله البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢: طبع ليدن ١٩٠٦م، ص٤٨٠

(٧) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب معادن الجوهر، أربع مجلدات بتحقيق يوسف أسعد داغر، ط٢: بيروت ١٩٨٤م، جـ١ ص٣٧٦

(٨) السيد أبو ظفر الندوي: تاريخ سند، ص٣٦٠-٣٦٦

(٩ ) Mohammad Rafique Mughal: Early Muslim cities in Sindh and patterns of international trade, Source: Islamic Studies, Vol. ٣١, No. ٣ (Autumn ١٩٩٢), pp. ٢٦٧-٢٨٦

(١٠) السيد أبو ظفر الندوي، مرجع سابق، ص ٣٦٥-٣٦٦

(١١) " وديبل بحرية قد أحاط بها نحو من مائة قرية أكثرهم كفار، والبحر يسطع جـدارات المدينـة كلهم، أهلهم تجار كلامهم سندي وعربي..." راجع المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٤٧٩

(١٢) راجع المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص١٩٠

(١٣) راجع المقدسي، صـ ٤٧٩، حول العمارات يقول:"بنائهم خشب وطين، والجامع مـن حجـر وآجر...وله أربعة أبواب باب البحر، وباب طوران وباب سندان، وباب الملتان، ولهم نهر يحيط بالبلد.." راجع الصفحة نفسها.

(١٤) راجع البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٥

(١٥) حول تطور العلوم عند العرب وقيامهم بتطوير الثقافة الهندية، راجع عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ط٤:دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ص.ص ١٣١-٢٩٥-٤١٧-٤٤١

(١٦) راجع الكتب التالية للاستزادة حول هذه الأسر الحاكمة: زامباور: معجـم الأنـساب والأسـر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن بك ورفقائه، ط: دار الرائـد العربـي، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٤٢٢-٤٢٦/ أيضا عبد الحي الحسني (ت١٣١٤هـ/١٩٢٢م)، الهند في العهد الإسلامي، ط:دار عرفات الهند ١٤٢٢هـ/٢٠١١م، ص١٦٤-١٧٩

(١٧) راجع الهروي: نظام الدين أحمد بخشي الهروي(ت١٠٠٣هـ/١٥٩٤م):طبقات أكبري، ترجمه أحمد عبد القادر الشاذلي، ثلاثة مجلدات ط: القاهرة ١٩٩٥م، جـ١، ص٨٦/ بجانب ذلك تفيد المصادر أيضًا بقيام السلطان بإنشاء المحلات الخاصة للأسر المهاجرة من بغداد والدول الشرقية إثر سقوط بغداد، وقد أحسن السلطان استقبالهم، وخصص لهم محلات في نواحي العاصمة، وأطلق عليها أسماء مدنهم مثل: محلة خوارزم، عباسي، بخارى، يمني، موصلي...إلخ وصل عدد هذه المحلات إلى خمس عشرة محلة، راجع محمد قاسم هندو شاه فرشة: تاريخ فرشة، مجلدين ط: طبع نول كشور لكهنؤ عام ١٢٨١هـ ١٨٦٤م، جـ١، ص٧٥

(١٨) تفيد المصادر أن هذه المدينة تضم ثمانية مساجد جامعة علاوة على المسجد السلطاني، وأن سعة كل مسجد كانت عشرة آلاف مصلي، راجع ضياء الدين برني(ت ٧٥٧هـ/١٣٥٧م): تاريخ فيروز شاهي، ط: مركزي أردو بورد، لاهور ١٩٦٩م، ص٧٩٣/ ويحدثنا السير السيد أحمد خان بقوله:"بدأ فيروز شاه تغلق في تعمير مدينة على مسافة بسيطة من دهلي القديمة، وشيئًا فشيئا اتسعت هذه المدينة واكتمل عمرانها، وكان طول قطر هذه المدينة خمسة أكواس"

راجع آثار الصناديد، ثلاثة مجلدات ط: الأكاديمية الأردية، دهلي١٩٩٢م، جـ١، ص٢٦٩-٢٧٠

(١٩) راجع للتفصيل نظام الدين: طبقات أكبري، جـ١، ص٨٦-٨٧

(٢٠) يروي العمري المعاصر ذلك فيقول:"أن دهلي مدائن، جمعت مدينة، ولكل واحدة اسم معروف، وإنما دهلي واحدة منها، وقد صار يطلق على الجميع اسمها..وجملة ما يطلق عليه الآن اسم دلي إحدى وعشرون مدينة...راجع شهاب الدين العمري (ت٧٤٩هـ ١٣٤٨م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثالث، تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي، ط:المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٥٣

(٢١) راجع برني: تاريخ فيروز شاهي، ص٤٧٣-٤٧٤

(٢٢) راجع مثلا، بيتر جاكسن، سلطنة دهلي تاريخ سياسي وعسكري، تعريب فاضل جتكر، ط: مكتبة العبيكان الرياض ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٤٥١-٤٥٥/ أيضا ASTTIRBADI :LALJRIVASTAVA THE SULTANATE OF DELHI, P. AGRA COLLEGE, AGRA, P.١٩١

(٢٣) كانت مدينة دولة آباد محافظة لمنطقة ديوگير، وهي تقع الآن في مدنية أورنگ آباد التابعة لولاية مهاراشتر، راجع عبد الحي الحسني، الهند في العهد الإسلامي، ص١٠٨

(٢٤) راجع سيد محمد مبارك كرماني: سير الأولياء، ط:مطبع محب هند دهلي ١٣٠٢هـ/ ص٢٧١/ برني: فيروز شاهي، ٤٧٤/ عصامي: فتوح السلاطين، ط: مدراس وآگره ١٩٣٨-١٩٤٨م، ص٤٥٢

(٢٥) للمـزيد عنه راجع عبد الحي الحسني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ثلاثة مجلدات، ط:دار ابن حزم بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، جـ١، ص١٨٥

(٢٦) راجع سير الأولياء، ص٢٧٤

(٢٧) Edward Thomas: The Chronicles of the Pathan Kings of Delhi, London ١٨٧١, P.٢٠٩/ R. P. Tripathi: Some Aspects of Muslim Administration, Allahabad ١٩٣٦, P. ٦١

(٢٨) البهمنيون، آل بهماني: سلالة أفغانية حكمت في الدكن أي جنوب الهند مابين ٧٤٧-٩٣٢هـ/ ١٣٤٧-١٥٢٦م، ثم انقسمت هذه الدولة فيما بعد وقامت بها أسر عديدة ومنها: العماد شاهيون (٨٩٠-٩٨٠هـ/١٤٨٤-١٥٧٢م) في منطقة برار، النظام شاهيون (٨٩٦-١٠٠٤هـ/١٤٩٠-١٥٩٥م) في أحمد نگر، البريد شاهيون (٨٩٨-١٠١٨هـ/١٤٩٢-١٦٠٩م) في بيدر أو بدر، العادل شاهيون (٨٩٥-١٠٩٧هـ/١٤٨٩-١٦٨٦م) في بيجاپور، القطب شاهيون (٩١٨-١٠٩٨هـ/١٥١٢-١٦٨٧م) في گولكنده، وكان انقراضها جميعها على يد أباطرة المغول. حول

تاريخ هذه الإمارات الإسلامية راجع السيد أبو ظفر الندوي: مختصر تاريخ هند، ط: دار المصنفين أكاديمية شبلي النعماني، الهند ٢٠٠٦م، ص١١٧-١٤١

(٢٩) راجع برني: تاريخ فيروز شاهي، ص٤٧٤

(٣٠) خليق أحمد نظامي، الميول الدينية، ص٣٤٣

(٣١) يروي العمري حول نظام البريد فيقول:"وفي كل مكان من هذه الأماكن المركزة مساجد تقام بها الصلوات، ويأوي إليها السفار، وبرك ماء للشرب، وأسواق لبيع الأكل والشرب، وعلوفة للدواب، ولا يكاد يحتاج إلى حمل ماء ولا زاد ولا خيمة"، راجع العمري: مسالك الأبصار، جـ٣، ص٨٢

(٣٢) حول هذه المظاهر العمرانية راجع سلسلة دار المصنفين: هندوستان كي مسلمان حكمرانون كي عهد كي تمدني كارنامي(الأعمال الحضارية في عهد ملوك الهند الإسلامية)، ط: دار المصنفين أعظم گره الهند ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٣٧-١٠٧

(٣٣) حول أهم الآثار المعمارية لفيروز شاه تغلق، راجع فوزية عبد العزيز أحمد صباح: وصف المصادر الأردية للعمارة الإسلامية في الهند، ص٣٣١-٣٧٦

(٣٤) راجع شمس سراج عفيف: تاريخ فيروز شاهي، بتصحيح مولوي ولايت حسين ط: الجمعية الآسوية ببنگال ١٨٩١م، ص٣٣٤-٣٣٥

(٣٥) شمس سراج عفيف، مصدر سابق، ص٣٥٩-٣٦٠

(٣٦) "مسلمانان فقير وعورات بيوه حقير از اشخاص صغير وكبير از چهار سوئ مملكت در شهر باز آمدند آسامي دختران در ديوان نويسانيدند" راجع شمس سراج عفيف، مصدر سابق، ص ٣٥١

(٣٧) يذكر فرشته ونظام الدين الهروي أن فيروز شاه تغلق بنى خمسين خزانًا، وأربعين مسجدًا، وثلاثين مدرسةً، وعشرين زاوية، ومائة قصر، وخمس مستشفيات، ومائة روضات، وعشرة حمامات، وحفر مائة وخمسين بئرا، وبنى مائة جسر، وقام بإنشاء البساتين والمنتزهات لا حصر لها، وأوقف على كل ما بناه وقفًا للصرف عليه. راجع تاريخ فرشته، جـ١، ص ١٥١/ أيضًا طبقات أكبري، جـ١، ص ١٩٩

(٣٨) حول هذا النظام الطبقي الجائر الذي كان شائعًا قبل استقرار الدولة الإسلامية، راجع البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني:(ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م):تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، تقديم محمود علي مكي، ط: الذخائر التابعة للهيئة العامة لقصور الثقافة، بالقاهرة، عام ٢٠٠٣م، في ذكر الطبقات التي يسمونها ألوانًا وما دونها، ص٧٥-٧٧

(٣٩) للتفاصيل راجع خليق أحمد نظامي: إسلامي فكر اور تهذيب كا اثر هندوستان پر، ط:مجلس تحقيقات ونشريات، ندوة العلماء، الهند، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٣١-٣٤

(٤٠ ) Jawaharlal Nehru: The Discovery of India, Sixth Impression, India١٩٨٨, P.٢٦٥

(٤١) راجع يحيي أحمد سرهندي: تاريخ مبارك شاهي، ط: الجمعية الآسيوية بكلكتا ١٩٣١م، ص٣٢

(٤٢) نور الدين أبو الحسن السمهودي (٩١١هـ/١٥٠٦م):: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت ١٩٧١م، جـ٢، ص٧١٨

(٤٣) السير سيد أحمد خان: آثار الصناديد، جـ ١، ص٧٩-٨٤/ راجع أيضًا صهبا وحيد: هندي إسلامي فن تعمير، مجلدين، ط: أكاديمية أردو دهلي ١٩٩٥م، جـ١، ص١٦٦-١١٩

(٤٤) "ومنبر ومحراب به لطائف كتابت ودقائق صنعت آراسته شده وباشكال غريب ونقوش بديع خته وپرداخته گشت" راجع صدر الدين حسن نظامي: تاج المآثر، ط: الهند دون تاريخ، ص٢٦٤

(٤٥) فريكسن، جـ٣، ص٥١٣ نقلا عن خليق أحمد نظامي، الميول الدينية، ص٩٨

(٤٦) خليق أحمد نظامي: الميول الدينية، ص٢١

(٤٧ ) See his book: HISTORY OF INDIAN AND EASTERN ARCHITECTURE, ٢ Volumes, London ١٩١٠, P.١٩٢-١٩٣

(٤٨) راجع السير السيد: آثار الصناديد، جـ ١، ص٧٩-٨٤-٣١٠-٣١١/ وتختلف هذه الرواية، فيروي نظام الدين فيقول:أن السلطان إيلتتمش أحضر من أجين نگر تمثال بكرما جيت، الذي يؤرخ الهنود تاريخهم به، وتماثيل أخرى كانوا قد صبوها من الذهب، ووضعوها أمام باب المسجد في دهلي ليطأها الناس"، راجع طبقات أكبري، جـ١، ص٦٩

(٤٩) راجع السيد صباح الدين عبد الرحمن: هندوستان كي عهد وسطي كي ايك ايك جهلك، أي لمحات من تاريخ الهند الوسطى، مقالة واحد وعشرين "العمارة" لـ ايس-كي- بنرجي، ط: أكاديمية شبلي النعماني، الهند، دون تاريخ، ص٤٣٣-٤٣٤-٤٣٥/ بجانب هذه الآية القرآنية توجد ألقاب عديدة مثل "غياث الإسلام والمسلمين"، و"المؤيد من السماء"، و"مظهر كلمة الله"، راجع خليق أحمد نظامي: الميول الدينية، ص١٣٠

(٥٠) حول ترجمته راجع عبد الحق محدث الدهلوي (ت ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م): أخبار الأخيار، ترجمة مولانا سبحان محمود، ط:، أدبي دنيا بدلهي، دون تاريخ، ص٥٩-٦١

(٥١) راجع نظام الدين: طبقات أكبري، جـ١، ص٧٠/ فتوح السلاطين، ص١١٥

(٥٢) فتوح السلاطين، ص١١٧

(٥٣) راجع مفتاح الطالبين وهو مجموعة من ملفوظات قطب الدين بختيار الكعكي، يقول عن هذا الكتاب خليق أحمد نظامي أنه تم تسجيل معظم هذه الملفوظات الدينية عند الحوض الشمسي، راجع الميول الدينية، ص١٢٩

(٥٤) وبخارج دهلي الحوض العظيم المنسوب إلى السلطان شمس الدين ايلتتمش، ومنه يشرب أهل المدينة، وهو بالقرب من مصلاها...وطوله نحو ميلين وعرضه على النصف من طوله، والجهة الغربية منه من ناحية المصلى مبنية بالحجارة...وداخلها مسجد، وفي أكثر الأوقات يقيم بها الفقراء المنقطعون إلى الله المتوكلون عليه..راجع الرحلة، جـ٣، ص١١٢-١١٣

(٥٥) راجع فوائد الفواد، ملفوظات الشيخ نظام الدين أولياء، ترتيب أمير حسن علاء سجـزي، ط: نول كشور، لكهنؤ الهند ١٣٠٢هـ ص١٩

(٥٦) ذكر أحد الباحثين حول المسجد في ولاية بنگال والذي يحمل اللوحة ينص النقش فيه:"أمر ببناء هذه البقعة المباركة السلطان المعظم شمس الدنيا والدين أبي المظفر ايلتتمش السلطان يمين خليفة الله ناصر أمير المؤمنين أثار الله وبرهانه..راجع محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال، ط: دار الفكر بدمشق ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١٠٠-١٠١

(٥٧ ) G.Yazdani: Epigraphia Indo-Moslemica, Culcutta, India, P.٣٠

(٥٨) غلام علي آزاد البلگرامي(ت ١٢٠٠هـ/١٧٨٦م): مآثر الكرام، ط: مدراس الهند ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، ص١٣

(٥٩) رضي الدين بسمل: كنـز التواريخ، ط: نظامي پريس، بدايون ١٩٠٧م، ص٤٢

(٦٠) وتجدر الإشارة هنا أن هذا الطرز الإسلامي الهندي، بدأ ينتشر في الولايات الهندية الأخـرى، ولختارته الإمارات الإسلامية في عمارتها ومنشآتها في القرن الرابع عشر الميلادي، خصوصًا في جونپور، وبنگال، وگجرات، والدكن، حتى تأثرت بعض الإمارات الهندوسية مثـل بنـديل كنهد، وراجپوتانه، التي استخدمت هذا الطراز الإسلامي الهندي في المنشآت الدينيـة، راجـع صباح الدين: لمحات من تاريخ الهند الوسطي، هامش صفحة ٤٤٢

(٦١) حول هذه المواصفات، راجع ضياء الدين: هندوستان كي مسجدين، ص٢٥-٢٦/ السير السيد: آثار الصناديد، جـ١، ص٩٤-٩٥

(٦٢) بنى البوابة العلائية السلطان علاء الدين الخلجي في الواجهة الجنوبية لمسجد قوة الإسلام، وهي بوابة بارزة عن الواجهة الجنوبية للمسجد، مربعة المسقط طول ضلعها ١٨ مترا، وقد استخدم في بنائها الحجر والطوب والملاط وتعتمد طريقة بنائها على وضع حجر ضخم أفقي يعلوه حجر كبير عمودي. ومدخل البوابة محرابي على شكل فتحة معقودة، وعلى جانب جانبي العقد زخرفت واجهة كتلة البوابة بدخلات معقودة بها نوافذ مغطاة بأحجبة من الرخام المفرغ في زخارف هندسية وزخارف نباتية محورة وكتابات قرآنية محفورة حفرًا بارزًا بخط النسخ على الجرانيت، كما زخرفت الواجهات بأشرطة من الرخام الأبيض والحجر الرملي الأحمر فأصبحت تحفة جمالية بديعة مما جعلها من أجمل البوابات الإسلامية في الهند، راجع فوزية عبد العزيز: وصف المصادر الأردية للعمارة الإسلامية، هامش صفحة ٣١٤/ لمـزيد من التفاصيل راجع

السير السيد: آثار الصناديد، جـ١، ص٨٤-٩٧/ أيضًا أحمد رجب: تاريخ وعمارة المساجد الأثرية بالهند، ص٤١-٤٢/ ويحمل النقش العبارة التالية: "بتوفيق بي‌همتا ومعاونت مي‌نشي نثرا مثال المسجد اسس على التقوى تعالى امره وشانه وتعالى عدله واحسانه بر مفضى خير مامور امر فول وجه‌ك شطر المسجد الحرام محمد رسول الله علي‌ه السلام كما قال من بنى مسجد لله بنى له بيتا فى الجنه مجلس اعلى خداي‌گان سلاطي‌ن زمان ش‌نشاه موسى فرسلي‌مان مكان راعى شرائط شري‌عت محمدى حامل مراسم ملت احمدى موكد معابر معالم ومساجد وموطد قواعد مدارس ومعابد ومهد بنيان رسوم مسلماني وموسس مباني مذهب نعماني قالع اصول مرده فجار وقاطع فروع قي‌د كفر وهادم بناء صوامع اصنام، رافع اساس مجامع اسلام مظهر آيات الله‌ك قاهر كفره رؤف متي‌ن قامع فجره روئ‌ه زمي‌ن فاتح قلاع سامح امكان ضابط بقاع راسخ بنيان المعتصم الجلال الله المنان ابو المظفر محمد شاه السلطان ي‌مي‌ن الخلافت مبي‌ن الله ناصر امي‌ر المومني‌ن..." راجع مولوي بشير الدين: واقعات دار الحكومت دهلي، ط: الهند ١٩١٩م، جـ٣، ص ١٨٣-١٨٤/ هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لما كانت نقوش إيان تلك الفترة تتعلق بالمساجد كان كثيرًا ما يرد فيها الحديث النبوي المشهور" من بنى مسجدا لله، بنى الله له في الجنة مثله ".وفي رواية : بنى الله له بيتا في الجنة " مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٧٤هـ/ الصفحة أو الرقم: ٥٣٣/ وقد ورد هذا الحديث في نقوش معظم المساجد التي أنشئت إيان تلك الفترة في المدن والقرى، راجع محمد يوسف صديق: رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية، ص٩٢-٩٣

(٦٣) حول عدد المنشآت الدينية والمدنية راجع فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص١٣٠

(٦٤) يقع هذا المسجد ضمن منشآت مدينة فيروز آباد عند القصر الملكي، راجع تاريخ مبارك شاهي، ص٢١١، والآن يقع بالقرب من منطقة پرانا قلعة أي القلعة القديمة، بضواحي دهلي، راجع أحمد رجب: تاريخ وعمارة المساجد الأثرية، ص٥١/ يعد هذا المسجد من أعظم المنشآت الدينية في عهد فيروز شاه، حتى أن المؤرخ المعاصر برني مدح هذا المسجد في كتابه، فيقول:"أن عمارة هذا المسجد عجيبة وغريبة وشاهقة حتى ليقال إن محرابه كان يناطح السماء، كما ذكر المصدر نفسه، أن فيروز شاه قد بنى هذا المسجد للمؤمنين السنيين، وأنه كان يصلي فيه صلاة الجمعة هو وجمع غفير من مسلمي دهلي حتى كان يزدحم بهم صحن المسجد والطابقان الأول والثاني وكل ركن من أركان المسجد، وعندما لا يجد المصلون مكانًا كانوا يصطفون للصلاة في الشوارع المؤدية إلى المسجد"، راجع تاريخ فيروز شاهي، ص٧٨٧-٧٨٨

(٦٥) حول مواقع جغرافية لهذه المساجد ومواصفاتها راجع هندي إسلامي فن تعمير، جـ٢، ص٢٦٣-٢٦٤/ آثار الصناديد، جـ١، ص٣٢٧/ الميول الدينية، ص٤٣٤/ وصف المصادر الأردية للعمارة الإسلامية، ص٣٤٥-٣٥١

(٦٦) راجع البيروني: تحقيق ما للهند، ص٧٨-٧٩

(٦٧) إسماعيل العربي: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ط: دار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا دون تاريخ، ص٥٢

(٦٨ ) K M Panikkar: A survey of Indian history, Bombay, ١٩٤٧, p١٣٢

(٦٩ ) Tara chand: Influence of Islam on Indian culture, P.٣٦٠-٣٨٢-٣٨٤

(٧٠ ) Burgess: Archaeological Survey of India, Vol. VII. The Muhammedan Architecture of Ahmedabad, India, P.٣٢

(٧١) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: الجامع الصحيح - سنن الترمذي، المحقق أحمد بن محمد شاكر، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الراوي: أبو سعيد الخدري المحدث: الترمذي - المصدر: سنن الترمذي - الصفحة أو الرقم: ٢٤٦٠

(٧٢) علي بن عمر الدارقطني : تعليقات الدارقطني على المجروحين لابن حبان، تحقيق خليل بن محمد العربي ط:الفاروق الحديثة، القاهرة ١٤١٤هـ، ص٢٤٧

(٧٣) راجع حسين مؤنس: المساجد، ط: عالم المعرفة، الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٩٢

(٧٤) تحمل اللوحة:"أمر بناء هذه البقعة المباركة السلطان المعظم شاهنشاه الأعظم المالك رقاب الأمم...في العالمين سلطان السلاطين شمس الدنيا والدين المخصوص بعناية رب العالمين أبي المظفر ايلتتمش السلطان ناصر أمير مؤمنين خلد الله ملكه، في سنة تسع وعشرين وستمائة، راجع واقعات دار الحكومت دهلي، جـ٣، ص٣٥٣

(٧٥) "سائر مردم دهلي بزيارت قبر تبرك مي جويند، ومطاف ومزارعهوم خلائق است"، زبدة التواريخ، ورقة ٥ ب، نقلا عن خليق أحمد نظامي، الميول الدينية، ص١٥٤

(٧٦) ابن بطوطة، جـ٣، ص١١٣، ومن ضمن الروضات يذكر ابن بطوطة روضات بعض العلماء والشيوخ الذين كان الناس يزرون قبورهم، ومنهم روضة الشيخ الصالح قطب الدين بختيار الكعكي، معتبرا إياها ظاهرة البركة والتعظيم، راجع الصفحة نفسها.

(٧٧) تفيد المصادر أنه كان السلطان فيروز شاه يزور روضات والدته وأقربائه، وروضات السلاطين والشيوخ والصوفية، خصوصًا قبل الخروج إلى ساحة الحرب، فكان يحضر قبول الشيوخ ويقرأ الفاتحة، راجع شمس سراج عفيف: تاريخ فيروز شاهي، ص١٩٤، "ہر بار کہ خواستے از شہر دہلی جائے سواری کند اگرچہ یک ماہ یا دو ماہ سواری بودے عاقبت

جمیع مشایخ دیندار وسلاطین نامدار رازیارت کردے وازر یکے استمداد خواستے خود رادر پناہ ایشاں انداختے".

(٧٨) حول علاقات سلاطين مع الشيوخ والصوفية ومواقف بعضها مع بعض، راجع خليق أحمد نظامي: الميول الدينية، حول علاقة السلطان ايلتتمش مع الشيوخ راجع ص١١٢-١١٩- حول علاقة السلطان بلبن مع الشيوخ والصوفية راجع ص١٦٤-١٦٨/حول علاقة السلطان علاء الدين الخلجي مع الشيوخ راجع ٢٦٧-٢٧١/ وحول موقف السلطان محمد بن تغلق من الصوفية والشيوخ راجع ٣٥٤-٣٧٥/ حول علاقة السلطان فيروز شاه مع الصوفية والفقراء راجع ٤٠٨-٤١٧

(٧٩) راجع عبد الحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي، ص ٣٨٢

(٨٠) يعد مير ملهم من الشيوخ القدماء حيث رافق القائد الغازي سيد سالار مسعود الذي حضر إلى الهند مع محمود الغزنوي، واستشهد في ساحة الحرب في منطقة بدايون، وكان روضته في حالة الخراب، فأمر السلطان محمد بن تغلق بإنشاء الروضة الجديدة وتفيد اللوحة العبارة التالية:"أتمت عمارة جديدة في عهد سلطان الأعظم أبو المجاهد في سبيل الله محمد بن تغلق شاه السلطان ناصر أمير المؤمنين خلد الله ملكه وسلطانه وأعلى أمره وشأنه، المعمار محمد سلطاني، يوم الأحد الثامن من ربيع الآخر ٧٢٨هـ"، راجع رضي الدين بسمل:كنـز التاريخ، ص٥١

(٨١) راجع سير الأولياء، ص١٥٤/ حول روضة الشيخ علاء الدين راجع ابن بطوطة، الرحلة، جـ٣، ص١١٣

(٨٢) فيروز شاه: فتوحات فيروز شاهي، ط: رضوي بريس دهلي ١٣٠٢هـ/ص ١٢-١٣-١٤-١٥/ وكتب السلطان نفسه في سيرته الذاتية حول هذا الاهتمام، فيقول:"همچنين مزار ومقابر مشايخ وأولياء....عمارت فرموده" سيرت فيروز شاهي، ورقة ٧٩ نقلا عن خليق أحمد نظامي: الميول الدينية، ص٤٠٥

(٨٣) حول تعريف للتصوف والمنهج الصوفي راجع موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي، ط: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، إشراف وتقديم محمود حمدي زقزوق، القاهرة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، مادة "التصوف"، ص٤٥٩-٤٧٩

(٨٤) للتفصيل راجع أبي عمر منهاج الدين عثمان جوزجاني: طبقات ناصري، ط: الجمعية الآسيوية كلكتا ١٨٦٢م، ص١٦٧

(٨٥) Khaliq Ahmad Nizami: Source: Studia Islamica, No. ٨ (١٩٥٧), pp. ٥١-٦٩

(٨٦) حول سيرة الشيخ وزاويته راجع فوائد الفواد، ص١١٩-١٢٠/ سير العارفين ص١٦٩/ أخبار الأخيار ص٦٢-٦٥

(٨٧) راجع سير العارفين، ص٢١/ لترجمته راجع أخبار الأخيار، ص٥٩-٦٥

(٨٨) حول ترجمته راجع أخبار الأخيار، ص٥٥/ أيضًا السيد صباح الدين: خواجه معين الدين چشتي، ط: دار المصنفين، الهند.

(٨٩) عبد الحليم الندوي: مراكز المسلمين الثقافية والتعليمية والدينية في الهند، مدراس، مطبعة نوري، دون تاريخ، ص١٤٩-١٥٠

(٩٠) راجع برني: تاريخ فيـروز شاهي، ص٢٣٤

(٩١) هناك رواية تفيد أن السلطان قطب الدين مبارك شاه بن علاء الدين الخلجي كان يتعامل معاملة سيئة مع الشيخ نظام الدين أولياء، لأن الأخير ما كان يـزوره ولا يأخذ منه الأموال لزاويته، وعدد زوار الزاوية كان يزيد بصورة كبيرة، ولما سمع السلطان إقبال الناس على زاويته وقيام الشيخ بإنفاق المال والطعام على الزائرين والعاكفين، فبرز في ذهن السلطان من أين للشيخ أن ينفق على كل هؤلاء، فسأل القاضي حول ذلك فرد أن الأمراء والأغنياء والأثرياء يقدمون مالًا كثيرًا في خدمته كهدية خاصة للزاوية، فكانت ميزانية اليوم تصل يوميًا ألفين تنكه على المطبخ العمومي. راجع سير العارفين ص٧٥/ تنكه واحدة كانت تعادل ثمانية دراهم إبان تلك الفترة، راجع العمري: مسالك الأبصار، جـ٣، ص٥٧

(٩٢ ) See Tara Chand: Influence of Islam, P. ١٠٨

(٩٣ ) See Tara Chand: Influence of Islam, HINDU REFORMERS OF THE SOUTH, P. ٨٤-١٠٩

(٩٤ )Ibid, P. ١١٨-١١٩

(٩٥) "وفي دهلي ألف مدرسة، وبها مدرسة واحدة للشافعية وسائرها للحنفية" راجع العمري: مسالك الأبصار، جـ٣، ص٥٤

(٩٦) للتفصيل راجع سعيد أحمد رفيق: إسلامي نظام تعليم، ط: إدارة تصنيف وتأليف، كراتشي، باكستان، بدون تاريخ، ص١٥-٣٦

(٩٧) أبو الحسنات الندوي: مدارس الهند الإسلامية القديمة، ط: أكاديمية شبلي أعظم كره، الهند عام ١٩٧١م، ص١٤

(٩٨) فخر مدبر: تاريخ فخر الدين مبارك شاه، ط: لندن ١٩٢٧م، ص٢٦

(٩٩) أبو الحسنات الندوي: مدارس الهند الإسلامية القديمة، ص٢٠

(١٠٠) راجع برني: تاريخ فيروز شاهي، ص١٠٣/ عصامي: فتوح السلاطين، ص١٥٦

(١٠١ ) Narendra Nath Law: Promotion of learning in India during Muhammadans Rule ،Delhi ١٩٧٣, Pp٢٨-٣٢

(١٠٢) راجع برني: تاريخ فيروز شاهي، ص٣٥٣-٣٥٤/ الهروي: طبقات أكبري، جـ١، ص١٤٦-١٤٨

(١٠٣) راجع فرشته، جـ١، ص١٢١-١٢٢/والعلماء الأجلاء الذي ذاع صيتهم آنذاك كثيرة جدًا، ومنهم على سبيل المثال: مولانا محيي الدين كاشاني، مولانا ظهير الدين بهكري، مولانا مغيث الدين بيانوي، شيخ حسام الدين الگجراتي، مولانا شهاب الدين ملتاني، ومولانا حميد الدين مخلص، ومولانا شمس الدين يحيى وغيرهم، راجع خليق أحمد نظامي: الميول الدينية، ص٢٢٦-٢٢٨

(١٠٤) السير السيد: آثار الصناديد، جـ٣، ص١٦٥

(١٠٥) بيتر جاكسون:سلطنة دهلي تاريخ سياسي وعسكري ، ص٥١٣

(١٠٦) العمري: مسالك الأبصار، جـ٣، ص٦٨-٦٩

(١٠٧) ظفر الإسلام: تعليم عهد إسلامي كي هندوستان مين، ط: دار المصنفين الهند ٢٠٠٧م، ص٢٦

(١٠٨) For more details about these Universities read a full chapter in Khaliq Ahmed Nizami: Studies in Medieval India, History and culture, Kitab Mahal, Allahabad ١٩٦٦, Pp٧٣-٧٩

(١٠٩) Moreland: Agrarian System during the Muslim rule in India, Cambridge ١٩٢٩, P.٢٢٥

(١١٠) السيد سليمان الندوي: مساهمة ملوك الهند الإسلامية في نهضة الهندوس التعليمية والثقافية، ط: دار المصنفين الهند، ص٣٦-٣٧

* * *